المطلب الثالث: البناء الإجتماعي للهيمنة الفكرية الأمريكية (تابع)

مع الأجواء الإنتقامية للحرب الباردة التي سادت في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات[1]، كان هناك حركة العودة إلى الأرثوذكسية الواقعية realist orthodoxy؛ بحيث قامت الواقعية الهيكلية/البنيوية Structural realism بإعادة إطلاق الافتراضات الأساسية للواقعية الكلاسيكية، بينما كانت تحاول الالتزام بالمطالب الأساسية للعلم الوضعي (كينيث والتز Waltz 1979) [2].

ومرة أخرى، غذى هذا الجدل النقاش الدائر حول ما إذا كانت الواقعية قد توقفت عن كونها النموذج المهيمن على الحقل (Alker and Biersteker 1984؛ Holsti 1985). ولكي لا تفقد سيطرتها كنموذج مهيمن على الحقل، فقد إستعانت الواقعية بالليبرالية والماركسية كشركاء ثانويين في توجيه الحقل[3].

بعدما شهد النموذج الواقعي ربيعه الثاني وبعد اندماجه مع المؤسسات النيوليبرالية خلال الثمانينيات، شهدت التسعينيات نقاشًا رابعًا، تناول التوجهات الميتا-نظرية meta-theoretical العريضة للعقلانية rationalism والبنائية constructivism. وبات النقاش يميل إلى كونه محادثة بين العقلانيين من جهة، ونقد البنائيين من جهة أخرى[4].

إن الصورة المرسومة أعلاه لتاريخ حقل العلاقات الدولية تفيد في فهم كيف أن منطق "العصور" و "النقاشات الكبرى" يدعم الفهم-الذاتي المهيمن على الحقل كعلم اجتماع أمريكي. وقد عبّر "براين شميدت" Brian Schmidt عن ذلك بقوله: "يرتبط تاريخ حقل العلاقات الدولية، مثل العديد من العلوم الاجتماعية الأخرى، ارتباطاً وثيقاً بأهداف الشرعية والنقد؛ أي أن التاريخ قد تم تقديمه لدعم أو تقويض

[1] لا سيما مع احتلال الإتحاد السوفياتي لأفغانستان في سنة 1979.

[2] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.12.

[3] Ibid. p.12.

[4] Ibid. p.13.

تسليم معين للحالة الحالية أو المرغوبة للحقل."؛ إن السرد حول "العصور" و "النقاشات الكبرى" لحقل العلاقات الدولية هو في كثير من الأحيان أساطير اخترعها المنتصرون، وإذا ما كان فيه إمكانية لنشأة قراءات بديلة وإعادة بناء الماضي، فإنها تُكبح في المهد بسبب الفهم المهيمن لهذا الماضي. وطالما لا توجد بدائل ملموسة، فإن مجرد تفكيك الأساطير التأسيسية لتاريخ حقل العلاقات الدولية، أو المعرفة "الزائفة" لتاريخ الحقل، لا يمكن ولن يؤدي إلى نهضة نظرية[5] للحقل[6].

ولكن إذا كان الأمر كذلك، فإن السرد المعياري لتطور الحقل يجري على وجه الحصر تقريباً ضمن العلاقات الدولية الأمريكية، وهو ما لا يُنصف تطور نظرية العلاقات الدولية في أجزاء أخرى من العالم. على الرغم من أن العديد من الباحثين غير الأمريكيين، ومعهم معظم زملائهم الأمريكيين، يقبلون تأريخ الحقل كعملة تداول أو خلافة ما بين "عصور" و "نقاشات كبرى"، غير إن النسخة المعيارية لتاريخ الحقل تفشل في تفسير معظم الإنقسامات الحقيقية في معظم مجتمعات الباحثين في العلاقات الدولية - سواء في الولايات المتحدة أو في أي مكان آخر[7].

هذا صحيح بشكل خاص إذا نظرنا إلى ما وراء أوروبا الغربية، حيث يتم تجاهل السرد المعياري لتاريخ الحقل من قبل الباحثين في العديد من بحوثهم، لا سيما تلك التي تتناول خصوصيات الدراسات الدولية في بلدان معينة مثل روسيا أو اليابان أو الصين أو الجمهورية التشيكية[8]. من الجدير والمفيد تأمل واستكشاف المنظور غير الغربي في الشؤون الدولية[9].

---

[5] يذكّرنا "تيم دون" Tim Dunne (1998: 360): "الشيء المؤكد هو أننا لم نعد نتوقع من مرآة التاريخ أن تقدم لنا قراءة مناسبة لكيفية تطور هذا الحقل ولماذا بقي منقسما."

[6] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.13.

[7] Ibid. p.14.

[8] See : (Sergounin 2001 ؛ Bacon and Inoguchi 2001 ؛ G. Chan 1999 ؛ Geeraerts and Jing 2001 ؛Drulák and Druláková 2000).

[9] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.14.

أما فيما يخص المنظور الأوروبي، فقد أظهر "كنود إريك جورجنسن" Knud Erik Jørgensen (2000)، فإن تأريخ الحقل كخلافة "عصور" و "نقاشات كبرى" غير ملائم لتفسير تطور الحقل في أوروبا الغربية بشكل مُرض. ففي أواخر الأربعينيات وأوائل خمسينيات القرن العشرين، عندما أصبحت الواقعية هي السائدة في الولايات المتحدة، في المقابل، فقد تقليد سياسة القوة مصداقيته في ألمانيا وإيطاليا. وفي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، عندما كانت السلوكية تلوح في الأفق في الولايات المتحدة، تم تجاهلها بالكامل في فرنسا، ولاقت معارضة شديدة في بريطانيا العظمى، ونقاش حاد في ألمانيا. وفي الثمانينيات، عندما سادت الواقعية البنيوية والخيار العقلاني في الولايات المتحدة، لم يكن أي من الاثنين ناجحًا بشكل خاص في أوروبا الغربية. وحتى في تسعينات القرن الماضي، عندما نشأت حركة مابعد الحداثة postmodernism في باريس، لم يكن للحركة بالغ الأهمية في معظم أوروبا القارية (ولا حتى في العلاقات الدولية الفرنسية)[10].

من ناحية أخرى، كانت أبحاث السلام أكثر أهمية في الدول الإسكندنافية وألمانيا وهولندا منها في الولايات المتحدة. كما نجد في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال تقليدا قويا لتصور العلاقات الدولية باعتبارها حقلا فرعيًا قانونيًا[11]، وهو الموقف الذي ترفضه بالكامل الواقعية السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية. باختصار، تختلف ممارسة نظرية العلاقات الدولية في القارة الأوروبية اختلافاً جذرياً عن الأساطير التي تؤسس لحقل العلاقات الدولية كعلم اجتماع أمريكي[12].

[10] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.14.

[11] يدرس طلبة القانون في فرنسا مقياس العلاقات الدولية كإحدى المقاييس الأساسية.

[12] Jörg Friedrichs,Op.Cit. p.14.